الكتـــــاب الأول

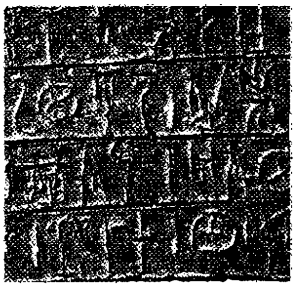

ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

غَنِّ لى ياربة الشعر عن غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة،
التى ألحقت بالآخيين(*) مآسى تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم
الآخر (هاديس) (**) بأرواح الكثيرين من المقاتلين البواسل، بينما
جعلت من أجسادهم لقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح
– وهكذا تحققت مشيئة زيوس. غَنِّ ممن جاءت هذه
الغضبة بادئة من حيث أخذ الشقاق يدب بين (أجاممنون)، ٥
ملك الرجال، ابن أتريوس، وبين أخيليوس شبيه الآلهة(***)
مَنْ مِنْ بين الآلهة هو ذاك الذى دفع بهذين الاثنين إلى
الصراع فيما بينهما؟ إنه (أبوللون) بن ليتو وزيوس. فهو الذى
أدى غضبه إلى انتشار الطاعون المشئوم بين صفوف المقاتلين
وإلى هلاك الرجال، لأن ابن أتريوس ألحق بكاهنه خريسيس ١٠
إهانة بالغة. فقد أتى الكاهن إلى سفن الآخيين السريعة ليحرر
ابنته (خريسئيس)، وهو يحمل معه فدية تفوق العد، وكان يمسك
بأكاليل أبوللون، الذى يسدد سهامه بعيدًا، (وقد لفها) حول
صولجان من الذهب، وراح يتوسل إلى كل الآخيين، وكان أكثر ١٥
توسله إلى ابنىِ أتريوس(****)، راعىّ جموع الرجال
"يا ابنى أتريوس، وياجميع الآخيين المزودين جيدًا بواقيات
الأرجل ! لتمنحكم الآلهة التى تتخذ مُقامها فوق جبل

(*) الآخيون: إحدى التسميات التى كان يعرف بها الإغريق فى العصور المبكرة الأولى قبل أن يستقروا على تسمية واحدة وهى "الهلينيون". وقد أطلق الشاعر عليهم، إلى جانب هذه التسمية، تسميتين أخريين هما: الدانائيون وأهل أو شعب أرجوس (الأرجيون). وقد جاء استخدامه للتسميات الثلاث بشكل مترادف. (هذا وترد تسمية "الهلينيين" وهم شعب متحالف مع الآخيين ويسكنون فى جزء من ثيساليا فى الكتاب الثانى: بيت ٥٣٠.

(**) اللفظة التى يستخدمها الشاعر هى: **Aïdés** وهى صورة شعرية للفظة **Hadés** أو **Haides** (وفى لهجة الدوريين **Aidas**). وهى تسميات لأحد ابناء كرونوس أول آلهة الإغريق. وقد أصبح إلهـا للعالم السفلى، ثم أصبحت تطلق بشكل عام على العالم الآخر.

(***) يوجد صدى لهذه الأبيات فى مقدمة مسرحية يوريبيديس "هيلينى" (أبيات ٣٨-٤١) كما قدمت الملحمة المفقودة "القبرصية" تفسيرًا لأصل الحرب الطروادية (المحرر.)

(****) هما أجاممنون ملك موكيناى وسيد الآخيين وأخوه مينيلاؤس ملك إسبرطة الذى فرت زوجته هيلينى مع باريس (ألكسندروس) بن برياموس ملك طروادة، فكان هذا، فيما يقول الشاعر، سببا فى إشعال الحرب بين الآخيين والطرواديين.

الأوليمبوس، القدرة على إسقاط مدينة برياموس (طروادة)، ولتقدر لكم العودة سالمين إلى وطنكم(*).و(كل ما أطلبه إليكم هو) أن تطلقوا سراح ابنتى الحبيبة (خريسئيس) وأن تقبلوا الفدية بحق ابن الإله، أبوللون، الذى يطلق سهامه إلى بعيد".

عند ذلك صاح الآخيون جميعا معلنين موافقتهم ومنادين باحترام الكاهن وقبول الفدية القيمة. ولكن هذا الأمر لم تسعد به نفس أجاممنون بن أتريوس فطرد الكاهن شر طردة، آمرًا إياه فى خشونة.

"حذار أيها الشيخ الأشيب أن أجدك متلكئًا بين السفن المجوفة(**) الآن أو عائدًا إليها بعد الآن، وإلا فإن صولجانك وإكليل الإله لن يحمياك (منى). أما هذه (الفتاة خريسئيس) فلن أطلق سراحها قبل أن تدهمها الشيخوخة فى بيتنا فى أرجوس بعيدا عن مسقط رأسها، وهى تذهب (فى عملها) أمام المنول وتقدم لى المتعة فى الفراش. أغرب عن وجهى وحاذر أن تغضبنى حتى يمكنك الانصراف فى أمان".

هكذا تحدث، بينما استبد الخوف بالشيخ وانصاع لأمره ثم مضى فى صمت على شاطئ البحر الهادر. وبعد أن ذهب بعيدًا صلى فى خشوع للسيد أبوللون، الذى ولدته ليتو ذات الشعر الأشقر مبتهلً:

"لتستمع إلى دعائى ياذا القوس الفضى، الذى يرعى خريسى وكيللا

(*) قارن ما يرد عند هوراتيوس (Sat. ii 3.191).

Maxime regum.
Di tibi dent capta classem reducere Troia.

يا أعظم الملوك !
لتمنحك الآلهة بعد سقوط طروادة أن تستعيد أسطولك. (المحرر)

(**) توصف سفن الإغريق بأنها مجوفة **koilai** لأن الواحد منهم، كما يقال، كان يعمد، فى المرحلة البدائية إلى جذع شجرة فيجوفه ثم يتخذ منه سفينة صغيرة. ثم ظلت هذه التسمية مستمرة حتى بعد أن كبر حجم السفن وتطورت صناعتها. والأقرب من هذا إلى المعنى هو أن شكل السفينة فى عمومه يوحى بالتجويف، أو أن مكان وضع وحفظ السلع أو المعدات فى السفينة يكون بالضرورة مكانا مجوفا – وهى التسمية التى أصبح يوصف بها هذا المكان فى فترة لاحقة من تاريخ الإغريق.

المقدسة، ياسيد تينيدوس(*)، (يارب) سمنثيوس(**). (إنى أبتهل إليك)
كلما أشرفت على إقامة محراب يحظى برضاك، وكلما قدمت القطع
المشوية الدسمة من أفخاذ الثيران أو الماعز قربانا لك، أن تستجيب
لدعائى هذا: لتنتقم بسهامك من الدانائيين لقاء ماذرفت من الدموع".

هكذا ابتهل فى صلاته، وسمعه فويبوس (الوضاء)(***)
أبوللون، فأسرع بخطواته من أعالى الأوليمبوس وقد تمكن الغضب
من قلبه، بينما حمل على كتفيه قوسه وجعبة سهامه المغطاة.
وقد كانت السهام تصلصل على كتفى الإله الغاضب وهو
يتحرك، وكان مجيئه مثل الليل، ثم جلس بعيدا عن السفن
وأطلق سهما فأحدث الصوت الفضى رنينا رهيبا. لقد انقض
(سهمه) على البغال فى البداية، ثم على الكلاب السريعة،
ولكنه ما لبث أن سدد سهامه (الحادة) اللاذعة إلى الرجال أنفسهم.
وهكذا توالت ضرباته بينما ظلت محارق الموتى تشتعل فى كثافة.

وقد استمرت سهام الإله تنطلق تسعة أيام على حشد
المقاتلين. وحين حل اليوم العاشر دعا أخيليوس الرجال إلى
ساحة الاجتماع، بعد أن كانت الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض
قد أوعزت إليه بذلك. إذ إنها بدأت تشفق على الدانائيين حين
شهدت ما أصابهم من هلاك. وحين جمعهم اللقاء نهض من
بينهم أخيليوس سريع القدم قائلا:

"يا ابن أتريوس ! يبدو أننا سننهزم ونعود (إلى حيث أتينا) دون

(*) تقع خريسى وكيللا فى منطقة طروادة أما تينيدوس (تقابل الآن Bosdscha Ada) فهى جزيرة صغيرة على بعد بضعة أميال من ساحل طروادة. (المترجم)

(**) فى الأصل Smintheus (أى الإسمنثى)، نسبة إلى مدينة سمنثوس Sminthos أو Sminthè، وهى مدينة فى منطقة طروادة، وهى تشير إلى معنى "إله الفئران" لأن كلمة sminthos تعنى الفأر وهو لقب وصف به الإله أبوللون لأنه خلص هذه المدينة الصغيرة من وباء فئران الحقل، وهكذا تصبح التسمية معبرة عن معنى "المخلص من طاعون الفئران". وقد تكون هذه العبارة جزء من الطوطمية راجع:
Frazer, Golden Bough, vol ii pp. 427-8.
(المحرر)

(***) فويبوس Phoibos، لقب من ألقاب أبوللون ويعنى الساطع أو الوضاء. (المترجم)

أن ننجز شيئا، هذا إذا أفلتنا (أساسًا) من الموت، فالطاعون والموت
كفيلان بالقضاء على الآخيين. تعال، إذن، ولنسأل عرافا أو كاهنا،
نعم، أو مفسرا للأحلام، فالحلم، هو الآخر، (وحى) من عند
زيوس(*)، فربما نعرف منهم الأمر الذى جعل فويبوس أبوللون
يستشيط غضبا على هذا النحو سواء أكان هذا وعدا (أخلفناه) ٦٥
أو قربانًا من مائة ثور(لم نقدمه)، مؤمّلين أن يتقبل منا طعم الخراف
والماعز التى بلغت قمة نموها، فيفكر أن يصد عنا الطاعون".

ثم جلس (أخيليوس) بعد أن ختم حديثه على هذا النحو،
فنهض من بين المجتمعين كالخاس بن ثيستور، وهو خير ٧٠
العرافين، فهو يعرف كل ما وقع من أحداث، كما يعلم بتلك التى
سوف تقع، وتلك التى تسبقها (فى الحاضر)، وهو الذى أرشد
سفن الآخيين إلى إليوس بفضل عرافته التى أضفاها عليه
فويبوس أبوللون. لقد خاطب جمعهم بنية خالصة قائلا:
"أى أخيليوس، حبيب زيوس، إنك تطلب إلىّ أن أعلن (ما
أعرفه) عن غضب أبوللون السيد الذى يطلق سهامه بعيدا. وعلى هذا ٧٥
فإنى سأتكلم، ولكن على أن تصغى إلى ما سأطلبه. لِتُقْسم بنية
صادقة على أن تسرع بالدفاع عنى قولا وفعلا لأنى، على ما أعتقد،
سوف أغضب رجلا يحكم كل حشود أرجوس ويطيعه الآخيون،
إذ إن الملك يزداد عنفه حين يغضبه رجل أقل منه مرتبة.
ومن هنا فإنه قد يكظم غيظه ليوم واحد، ولكنه يظل طاويا صدره ٨٠
على غضبه حتى يأتى الوقت الذى يُصَفِّى فيه حسابه
(مع من أغضبه). فلتفكر إذن إذا كنت ستقوم بحمايتى".

وهنا رد عليه أخيليوس سريع القدم قائلاً:

(*) عن الحلم بوصفه وحيًا من الإله؛ قارن ميلتون "الفردوس المفقود" (الكتاب ١٢ بيت ٦١١).
For God is also in sleep, and dreams advise"
(المحرر)

"لا تخف ! وتحدث عن أية نبوءة (أنت على علم بها)، فبحق أبوللون الحبيب إلى زيوس الذى تصلى له يا كالخاس والذى تعلن باسمه نبوءاتك للدانائيين، إنه طالما أنا على قيد الحياة، وطالما لازلت أرى وجه الأرض، فإن أحدا لن (يجرؤ على أن) يضع عليك يديه الثقيلتين (بسوء) بجوار السفن المجوفة، من بين كل الدانائيين، حتى لو كنت تعنى بحديثك أجاممنون الذى يعلن أنه خير الآخيين على الإطلاق".

عندئذ تشجع العراف النبيل وتحدث قائلاً :

"إن الإله لا ينحى باللائمة لا من أجل عهد (نكصتم به)، ولا من أجل قربان من مائة ثور (لم تقدموه)، وإنما من أجل الكاهن الذى نال أجاممنون من شرفه حين لم يطلق سراح ابنته (خريسئيس) أو يقبل الفدية، ولهذا فإن الإله الذى يطلق سهامه بعيدًا قد صب المآسى فوق رءوس الدانائيين وسوف يستمر فى ذلك ولن يبعد عنهم الطاعون الممقوت حتى يعيدوا الفتاة ذات العيون البراقة إلى أبيها دون أن يشتريها أو يدفع فدية عنها، وحتى نقدموا محرقة من الذبائح فى خريسى، حينئذ قد نفلح فى تهدئة غضب الإله ونتوصل إلى إرضائه".

وعندما انتهى من حديثه على هذا النحو عاد إلى مجلسه.

وهنا نهض المحارب ابن أتريوس، أجاممنون الذى يمتد سلطانه على أراضٍ شاسعة، وقد ظهر على وجهه الضيق الشديد وامتلأ قلبه عن آخره بالغضب الأسود، بينما بدت عيناه كاللهب المتأجج، فوجه فى البداية إلى كالخاس حديثا ينبئ بالعواقب الوخيمة:

"ياندير الشؤم ! إنك لم تتحدث معى بالخير حتى الآن، فنبوءات الشر هى الحبيبة إلى قلبك دائما، أما الكلمة الطيبة فإنك لم تأت بها قولا أو فعلا حتى الآن. وها أنت تنطق بنبوءاتك بين الدانائيين المجتمعين وتعلن أن الإله الذى يطلق

سهامه بعيدا قد جلب إليهم المآسى من أجل السبب (الذى ذكرته) بالذات، وهو أنى لم أقبل الفدية القيمة فى مقابل (إطلاق سراح) الفتاة خريسئيس، ابنة خريسيس، لأنى أنوى الاحتفاظ بها فى منزلى. فلتعلموا إذن أنى أفضلها على كليتمنسترا - زوجتى. فالفتاة ليست أقل منها شكلا أو قدًّا أو فكرًا أو أداء لأية صنعة من الصنائع. على أنى مستعد رغم ذلك أن أعيدها، إذا كان الخير فى هذا، لأنى أفضل سلامة الرجال على هلاكهم. ولكن عليكم (فى مقابل ذلك) أن تعدوا لى غنيمة على الفور، حتى لا أكون الوحيد بين حشود أرجوس الذى لم يحصل على غنيمة. إذ من غير اللائق أن تشاهدوا جميعا غنيمتى وهى تتنقل من حوزتى إلى مكان آخر".

عندئذ رد عليه أخيليوس، الإلهى سريع القدم :

"يابن أتريوس، يا أمجد الناس وأكثر الناس طمعا فيما ليس من حقه، كيف يتسنى للآخيين ذوى القلوب الكبيرة أن يقدموا لك غنيمة ؟ إننا لا علم لنا بأية ثروة محفوظة (تحت طلبنا) فى مخزن عام للغنائم، ولكنا قسمنا أسلابنا من المدن بين الجميع، ولا يجوز أن نعود فنأخذها من الرجال، نعم، عليك أن تطلق سراح الفتاة حسب مشيئة الإله، وسنعوضك، نحن الآخيون، عن ذلك ثلاثًا أو أربعا، إذا أكرمنا زيوس وأسقطنا طروادة ذات الأسوار الحصينة".

بعدها رد عليه أجاممنون السيد:

"أى أخيليوس، ياشبيه الآلهة ! إنك لن تخدعنى بفطنتك. ومهما كان لديك من شجاعة أو من أصل نبيل فإنك لن تفوقنى فى الدهاء أو فى الإقناع. أتطلب إلىّ أن أتنازل عن غنيمتى وأن أبقى هنا صفر اليدين حتى تستبقى أنت غنيمتك؟ إن هذا لن يكون إلا إذا قدم لى الآخيون ذوو القلوب الكبيرة سبية أرى فيها بديلا مساويا لغنيمتى. أما إذا لم يفعلوا ذلك فإنى سأحضر بنفسى وأستولى على غنيمتك أو

غنيمة أياس أو أوديسيوس وأعود بها، وليكن ما يكون من
غضب ذلك الذى سأحضر إليه ! ولكن على
أية حال سوف يكون هناك وقت للتدبر فى هذا الأمر لاحقًا
أما الآن فلننزل إلى البحر اللألاء سفينة سوداء نجمع
فيها عددًا كافيا من المجدفين والحيوانات المقدمة للتضحية،
ولتنزل بها خريسئيس، ذات الخدود الجميلة نفسها، وليقم
على قيادة السفينة أحد من ذوى الرأى، أياس أو إيدومينيوس
أو أوديسيوس، الإلهى، أو أنت ابن بيليوس الذى يخشاه الرجال
أكثر من أى شخص آخر، حتى تقدم الأضاحى وتهدئ من
غضب ذلك الذى يطلق سهامه بعيدًا".

عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدم، نظرة غاضبة كالحة
ووجه إليه الحديث قائلاً:
"آه، يامن ترتدى رداء عدم الحياء ! أيها الطماع المحتال ! كيف
تنتظر من أى من الآخيين أن يقدم عن طيب خاطر على تنفيذ ما
تطلبه إليه من المشاركة فى غارة أو القتال ببسالة مع المحاربين.
إنى لم آت هنا من أجل (الانتقام من) حاملى الرماح من محاربى
طروادة، فهم لم يسيئوا إلىّ قط. إنهم لم يتحرشوا على أية صورة
بأبقارى أو بخيلى، لا ولم يخربوا محصول الحبوب فى أرض فثيا
الخصيبة، منجبة الأبطال، فهناك الكثير الذى يفصل بينهم
وبيننا، جبال داكنة وبحر هادر. ولكنا تبعناك إلى هنا
لنرضيك ! نعم يامن لا يعرف الخجل، حتى تسترد أنت
ومينيلاؤس ما فقدتماه على يد الطروادیين - وهو الأمر الذى
تتجاهله ولا تدخله فى اعتبارك. والآن تهددنى، أنت بالذات،
بالاستيلاء على غنيمتى التى بذلت الكثير من الجهد فى سبيل
الحصول عليها، فمنحنى إياها ابناء الآخيين. ومع ذلك فإنى لم
أحصل قط على غنيمة مثل الغنائم التى كنت أنت تحصل

عليها كلما أسقط الآخيون مدينة مأهولة من مدن الطروادیين.
إن وطأة الحرب كانت تقع على عاتقى أنا، أما عند تقسيم الغنائم فقد
كان لك النصيب الأكبر، بينما أعود أنا إلى السفن ومعى ما حصلت
عليه بنفسى مهما كان ضئيلاً، بعد أن يكون القتال قد أخذ منى كل
مأخذ. أما الآن فإنى سأعود إلى فثيا، فإنه لأخف وطأة على النفس أن
أعود إلى الوطن فى سفنى ذات المقدمات المعقوفة، من أن أتحمل
الإهانة هنا بينما أجمع لك الثروة وأسباب الرفاهية".

وهنا رد عليه أجاممنون، ملك الرجال :

"فلتهرب من المعركة إذا طاوعتك نفسك. إنى لا أرجو منك أن
تبقى هنا من أجلى، فإلى جانبى يقف آخرون ممن سيشرفوننى
(بأدائهم)، ومعى، فوق الجميع، زيوس رب التدبير الحكيم. إنك
أبغض إلىّ من كل الملوك الذين يرعاهم الإله، فأنت تعشق الخصام
والعنف والقتال. وماذا لو كنت عظيم الشجاعة ! إن إلهًا، فيما أحسب،
هو الذى وهبك ذلك. ارحل إلى بلادك أنت وسفنك ورفاقك وأقم
نفسك سيدًا على الميرميدونيين، فأنا لن أهتم بك بعد اليوم
ولم أعد أعبأ بغضبك. على أنى أحذرك: إذا كان فويبوس
أبوللون سيأخذ منى خريسئيس فإنى سأرسلها فى سفينة من
سفنى ومع رجال من رجالى، ولكنى سآتى بنفسى إلى خيمتك
لآخذ (بدلا منها) سبيّتك بريسئيس، ذات الخدود الجميلة، حتى
تعلم جيدًا كم أنا أرفع منك قدرا، وحتى يرتدع كثيرون غيرك
عن أن يعلن أى منهم فى حضورى أنه ندٌّ لى".

هكذا تحدث (أجاممنون)، فابتأس لذلك ابن بيليوس، وفى داخل
صدره ذى الشعر الكث كان يتنازع قلبه أمران، إما أن يسلّ
سيفه القاطع من جانب فخذه فيفرق الجميع ويذبح ابن أتريوس،
أو أن يكظم غيظه ويتحكم فى نفسه. وبينما كان يقلب الرأى
بين ما يدعوه إليه كل من قلبه وعقله، وهو يسلّ سيفه الكبير

من غمده، هبطت الإلهة أثينة من السماء. وكانت الإلهة
هيرا ذات الذراع الأبيض قد أرسلتها لأنها كانت تكن للملكين
الحب من كل قلبها وتهتم بأمر كل منهما بالقدر ذاته. وقد
اتخذت أثينة موقفها خلف ابن بيليوس(*)، وأمسكت بشعره الأشقر
بحيث تتجلى له وحده بينما لا يراها الآخرون. وقد استحوزت
الدهشة على أخيليوس فاستدار وتعرف فى التو على أثينة باللاس(**)
ببريق عينيها الرهيب، وتحدث إليها بكلمات مجنحة،

"لماذا عُدْت يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس ؟ هل جئت
لعلك ترين صفاقة أجاممنون بن أتريوس ؟ إذن سأخبرك، وفى
تصورى أن ما أقوله سيتم فعلا. إنه سيدفع حياته عما قريب ثمنا
لاستعلائه المفرط".

عندئذ أجابته الإلهة أثينة ذات العينين الزرقاوين(***)،
"لقد هبطت من السماء لكى أهدئ من غضبك، إذا استمعت إلى
ما سأقوله. وقد أرسلتنى الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض
لأنها تحب كلا منكما من قلبها بالقدر ذاته وتهتم بأمركما.
فلتكف إذن عن الصراع ولا تجعل يدك تشهر سيفك. وجِّه إلى
(أجاممنون) من ألفاظ التأنيب ما يخطر على بالك. فهأنذا أقوله
لك، وسوف يتحقق ما أقوله: إنك سوف تحصل، بسبب هذه
الإهانة، على ثلاثة أمثال ما كنت ستفوز به. فلتحجم إذن (عما
كنت تنوى القيام به) وضع ثقتك فى قولنا (أنا والإلهة هيرا)".

وهنا رد عليها أخيليوس سريع القدم :

"أيتها الربة، من الواجب على المرء أن يراعى كلا منكما
بغض النظر عما يعتمل فى قلبه من غضب، فإن هذا هو الأفضل،

(*) هذا المشهد هو بالقطع الذى استوحاه سوفوكليس فى مسرحيته "أياس" (٧٢٩ وما يليه) (المحرر).
(**) أحد ألقاب الإلهة أثينة، ويروى أنه كان اسما لإحدى صديقاتها، ثم قتلتها الإلهة عن طريق الخطأ، فأقامت معبدا على اسمها، هو البالاديون، تخليدا لها.
(***) للتأكد من أن **glaukopis** تعنى ذات العيون الزرقاء راجع: **Pausanias I 14. 6.** (المحرر).

لأن الذى يطيع الآلهة تستجيب له بالكامل".

وهكذا تحدث بينما أطبق بيده الثقيلة على المقبض الفضى للسيف الكبير دافعا إياه فى غمده دون اعتراض على ما قالته أثينة. ولكنها كانت حينذاك قد انطلقت إلى الأوليمبوس حيث مقر الإله زيوس، لابس الدرع أيجيس، لكى تلتقى بالآلهة الآخرين.

ولكن ابن بيليوس خاطب ابن أتريوس من جديد بألفاظ عنيفة دون أن يزايله غضبه على أى وجه :

"أيها المخمور، يا من له عينا كلب (شرس) وقلب غزال (جبان). إنك لم تواتك الشجاعة مرة واحدة أن تتسلح للمعركة إلى جانب رجالك، أو تتقدم لتصنع كمينًا مع زعماء الآخيين، فذلك يبدو لك كأنه الموت(*) ذاته. بل إنك فى الحقيقة تجد خيرًا من ذلك كثيرًا، وسط جيش الآخيين الجرار، أن تستولى على غنيمة من يتحدث على غير هواك. أيها الملك المفترس لشعبه ! لابد أنك تحكم رجالا لا قيمة لهم، وإلا فإنك يابن أتريوس تكون قد ارتكبت آخر وقاحاتك اليوم. ولكنى سأعلن كلمتى (مدوية) إليك وأقسم عليها قسمًا رهيبا. بحق هذا الصولجان الذى لن تنبت فيه أوراق أو براعم بعد أن انفصل (الغصن الذى صنع منه) عن جذعه لأول مرة بين الجبال، والذى لن يعود إليه اخضراره مرة أخرى بعد أن نزع (المنجل المصنوع من) البرُنز أوراقه ولحاءه، والذى يحمل (مثله) الآن (سادة القوم) من أبناء الآخيين وهم يصدرون أحكامهم ويحافظون على القوانين باسم الإله زيوس، وسيكون هذا قسمًا عظيما بالنسبة

(*) اللفظة الموجودة فى الأصل هى ker، مفرد keres التى تعنى الأرواح التى تجلب البلاء بأنواعه المختلفة: العمى، الشيخوخة، الحظ السيئ، فقدان البصيرة، الموت. وفى أغلب استخداماتها تظهر باعتبارها لفظة عادية بمعنى الموت أو جالبة (جالبات) الموت، وإن كانت فى بعض الأحيان، حسبما يستدعى النص، تترجم بمعنى القدر (الإلياذة، الكتاب التاسع ٤١١) وفى بعض الأحيان يتراوح معناها بين القدر والموت (الكتاب الثالث، ٢٢٠). وقد ترجمتها أحيانا بلفظة "الموت" أو "شبح الموت"، وأحيانا بلفظة "القضاء" حسب المعنى الذى تراءى لى من السياق.

لكم: ليأتين اليوم الذى يفتقد فيه ابناء الآخيين جميعا أخيليوس !
وفى ذلك اليوم لن يكون بوسعك بأية حال أن تمد لهم يد العون
مهما بلغ بك الأسى، حين يتساقط الكثيرون أمام هيكتور قاتل
الرجال. ولكن قلبك سوف يتمزق ندمًا لأنك لم تعامل خير
الآخيين بما يستحقه من تبجيل".

هكذا تحدث ابن بيليوس. ثم قذف على الأرض بصولجانه
المرصع بمشابك ذهبية وعاد إلى جلسته، بينما ظل ابن أتريوس
ينفث غضبه من مكانه بالجانب المقابل. بعد ذلك قام بينهم نيستور،
سيد الكلمة العذبة وخطيب أهل بيلوس، ذو الصوت النقى، الذى
ينطق لسانه بكلام أحلى من العسل. لقد شهد نهاية جيلين من الرجال
الذين ولدوا وشبوا فى بيلوس المقدسة، وها هو يحكم الجيل الثالث.
و (الآن) خاطب الجمع وهو مفعم بالنوايا الطيبة قائلا:
"ياللأسى ! إن بؤسًا كبيرًا يخيم على أرض
الآخيين. كم سيبتهج بريامو‌س (ملك طروادة) هو وابناؤه،
وكم ستسعد قلوبهم وقلوب بقية الطرواديين إذا سمعوا قصة
الشقاق بينكما أنتما الاثنين، سيدى الدانائيين أحدكما فى الرأى
والآخر فى الحرب. ولكن انصتا إلىّ ! إنكما أصغر منى سنا،
وقد رافقت قبل الآن رجالا خيرا منكما، ولم يقلل أحد منهم من
شأنى أبدًا. إنى لم أر بعدهم من يماثلهم ولن أرى من يماثلهم.
هكذا كان بيريثوؤس ودرياس راعى الشعوب وبولبفيموس شبيه
الآلهة، كاينيوس وإكساديوس وثيسيوس بن آيجيوس، نظير الخالدين.
لقد كان هؤلاء أقوى ابناء الأرض من الرجال، وقد قاتلوا أقوى
الرجال، بل لقد حاربوا الفيريس(*) الذين سكنوا الجبال، وقضوا

(*) اللفظة المستخدمة هنا: **Féres**، واللفظة المرادفة لها **Kentauroi** كانت تطلق على قوم شرسين يعيشون حياة برية كانوا يعيشون فى ثيساليا بين مدينتى بيليون **Pelion** و أوسا **Ossa**. وقد اقتلعوا من هذه المنطقة على يد شعب مجاور فى فترة مبكرة. وعند الشعراء المتأخرين نجدهم يظهرون على شكل كائنات، الواحد منها نصفه العلوى إنسان ونصفه السفلى حصان. وواضح أن هوميروس كان يعنى المعنى الأول لأن التصور الثانى لم يكن قد ظهر بعد.

عليهم بلا شفقة أو رحمة. نعم، لقد كنت رقيقًا لهؤلاء الرجال
حين قدمت (إليهم) من بيلوس من الأرض البعيدة، وكانوا هم
أنفسهم الذين وجهوا الدعوة إلىّ (لألحق بهم). أما فى حومة
الوغى فلم أكن تابعًا لأحد. إن أحدا ممن يعيشون الآن على
وجه الأرض لا يقوى على قتال (الفيريس)، ومع ذلك فقد كانوا
يستمعون إلى رأيى ويقدرون مشيئتى، وإنى أهيب بكما أن
تستمعا إلى المشورة، فالاستماع إلى المشورة خير. أنت (يا ابن
أتريوس) لا تحاول رغم مالك من مكانة سامية، أن تستولى
على الفتاة، ولكن دع الأمر على ما كان عليه حين أعطاه أبناء
الآخيين إياها غنيمة له. وأنت يا ابن بيليوس، لا تفكر فى
مقارعة ملك، قوة فى مقابل قوة، مهما كان لك من شأن، فإن
مجد الملك الذى منحه زيوس الصولجان ليس مجدًا عاديا.
وإنك رغم ما أنت عليه من شجاعة من حيث إن إلهة هى التى
أنجبتك، فإنه هو الأكثر قوة طالما هو ملك على رجال أكثر
عددًا. (وأنت) يا ابن أتريوس ! إنى أهيب بك أن تهدئ من
ثائرتك وأن تتخلى عن غضبك على أخيليوس لأنه سند هائل
للآخيين جميعا فى هذه الحرب المدمرة."

وهنا رد عليه أجاممنون، سيد القوم:

"نعم ياسيدى الشيخ (الحكيم). لقد تحدثت بما فيه الحق فعلا، ولكن هذا
الرجل لا يفكر إلا فى السيطرة وفى أن يصبح سيد الجميع وأن
يفرض سلطته على الآخرين، بينما أعتقد أنا أن أحدا لن يطيعه
فيما يسعى إليه. وحتى إذا كانت الآلهة قد جعلته بارعًا فى
القتال بالرمح، هل أعطوه بذلك الحق فى التفوه بهذه الإهانات؟".

وهنا قاطعه أخيليوس، الإلهى، قائلا:

"ليكونن اسمى هو الجبان الذى لا قيمة له إذا رضخت لك فى كل شىء،
حسبما تريد. افرض أوامرك على الآخرين إذا شئت، ولكن لا تصدر

إلىّ أية أوامر، فقد عقدت العزم على ألا أطيعك بعد الآن. ثم هناك
شىء، آخر أود أن أقوله لك، وعليك أن تأخذه مأخذ الجد. إنى
لن أصارع فى سبيل الحصول على الفتاة، سواء أكان ذلك
معك أو مع الآخرين، طالما أنك عدت فأخذت منى ما كنت قد
أعطيتنى إياه فى البداية. ولكن حذار أن تأخذ شيئًا مما أملك من
أشياء موجودة فى سفينتى السوداء. نعم حاول أن تجرب ذلك
حتى يعلم الجميع (ماذا سيصيبك): إن دمك الأسود سيندفع
ليسيل فوق رمحى على الفور".

وحين انتهى الاثنان من معركتهما اللفظية العنيفة نهضا وفضا
الاجتماع الذى كان معقودا إلى جوار سفن الآخيين. فأخذ ابن
بيليوس طريقه إلى حيث سقيفته وسفنه الأنيقة، وقد اصطحب
معه (باتروكلوس) بن مينويتيوس ورفاقه، أما ابن أتريوس
فقد دفع سفينة سريعة إلى البحر واختار عشرين مجدفا وساق
إلى ظهر السفينة الحيوانات التى سيضحى بها للإله. كما
أحضر خريسئيس، ذات الخدود الجميلة، بينما صعد أوديسيوس
الواسع الحيلة(*) إلى السفينة ليتسلم قيادها. وحين اعتلى الجميع
متن السفينة أقلعوا فى مسالك البحر. أما ابن أتريوس فقد طلب
إلى جميع الآخيين أن يتطهروا، فتطهر الجميع وقذفوا إلى البحر بكل
ما لحق به الدنس. بعدها قدموا، قربانًا إلى (الإله) أبوللون، ذبائح
كافية من الثيران والماعز على شاطئ البحر التواق(**). وتصاعدت

(*) المعنى الدقيق للفظة اليونانية **polymetis** هو: ذو الحيل الكثيرة أو ذو الآراء المتعددة، وهو معنى قد يوحى فى العربية بتصور سيئ لشخصية أوديسيوس، علما بأن المعنى المقصود يوحى بالتصور الحسن، وعلى ذلك فقد فضلت صفة: الواسع الحيلة، وهى تقدم التصور الحسن المقصود بدقة.

(**) اللفظة فى الأصل اليونانى هى صيغة المضاف إليه من صفة **atrugetos** بمعنى: الذى لم يؤت ثمارًا أو حصادًا. وقد ترجمها ريو (**Rieu: Homer, the Iliad, Penguin**) بصفة: الذى لم يحصد ثماره أحد، وأجدها شديدة التقيد بالمعنى الحرفى عند هوميروس. دون أن توضح لنا شيئًا ملموسا، كذلك ترجمها هاينرخ فوس: (**H.Voss, Homer, Ilias, Goldmans Gelbe Taschenbuecher**) بمعنى: المهجور، وهنا أجد الترجمة تقترب نسبيا من الأصل اليونانى ولكنها تتعارض مع الحركة والانهماك اللذين لابد أنهما صاحبا تقديم القرابين بما فيه من ذبح عدد من الثيران والماعز ورائحة الشواء ودوامة الدخان. كذلك ترجمة موراى (**Murray: Homer, The Iliad, Loeb**) بمعنى: الذى لا يهدأ، وأجد فى هذه الترجمة تجاوزا لا يؤدى إلى معنى يتصل بالسياق. وفى تصورى أن الشاعر يريد أن يصور جو الموقف الذى يكون فيه البحر وكأنه يشاهد الأحداث التى تقع بين أجاممنون وأخيليوس ولكنه لا يزال يترقب نتائجها دون أن يصل إلى معرفة ماستسفر عنه، وهو فى ذلك يشبه الحقل الذى لم يؤت حصاده أو ثماره بعد.

رائحة الشواء إلى عنان السماء فى دوامة من الدخان.

انشغل الرجال فى معسكرهم. ولكن أجاممنون لم يكن قد تخلى بعد عن نزاعه الذى كان قد بدأه بتهديد أخيليوس. وهكذا استدعى كلا من تالثيبيوس ويوريباتيس، رسوليه ورجليه اللذين كانا يقومان على تلبية مطالبه قائلا لهما:

"اذهبا إلى سقيفة أخيليوس بن بيليوس واستوليا على بريسئيس ابنة بريسيوس، ذات الخدود الجميلة، واقتاداها إلى هنا. فإذا لم يسلمها لكما، سوف أذهب بنفسى مع مجموعة أكبر وأستولى عليها، وســيكون ذلك شيئًا أسوأ".

وبعد أن فرغ من كلامه أرسلهما تحت الأوامر المشددة. وذهب الاثنان على مضض (متخذين طريقهما) بطول شاطئ البحر المتلاطم الأمواج حتى وصلا إلى معسكر الميرميدونيين وسفنهم، فوجدا أخيليوس إلى جانب سقيفته وسفينته السوداء. على أنه وهو فى جلسته، لم يكن سعيدا بمرآهما. وهنا انتابهما الخوف والرهبة من الملك، فتوقفا دون أن يجترئا على أن ينبسا بكلمة، أو على أن يلقيا عليه سؤالا. ولكنه أدرك فى دخيلة نفسه ما قَدِما من أجله فبادرهما بالحديث قائلا:

"مرحبا أيها الرسولين، رسولى زيوس والبشر، اقتربا. إنكما فى نظرى لم تقترفا إثمًا، ولكن أجاممنون (هو الذى فعل ذلك)، فهو الذى أرسلكما من أجل الفتاة بريسئيس ابنة بريسيوس. ومع ذلك تعال يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، ولتحضر معك الفتاة لتعطيهما إياها حتى يأخذاها إلىّ هناك. وليكن هذان الاثنان شاهدين (على ذلك) أمام الآلهة المباركة وأمام البشر الفانين، بل وأمامه هو، ذلك الملك الذى لا يعرف الرحمة – إذا حدث فى المستقبل أن كانت هناك حاجة إلى لكى أدفع الكارثة المخزية عن المقاتلين. حقا، إنه فى سورة غضبه المدمر لا

يعرف كيف ينظر أمامه أو خلفه (ليتدبر الأمور) حتى يتمكن
من حماية أتباعه الآخيين وهم يقاتلون بجوار السفن".

هكذا تحدث، وقد استمع باتروكلوس إلى ما قاله رفيقه
الحبيب، فقاد بريسئيس، ذات الخدود الجميلة، إلى خارج السقيفة
وأعطاهما إياها ليعودا إلى سفن الآخيين. فذهب الرجلان
وذهبت معهما المرأة على غير رغبة منها، بينما انفجر
أخيليوس باكيا وانسحب بعيدًا عن رفاقه، وجلس على شاطئ
البحر الرمادى محملقًا فى أعماقه الزرقاء الداكنة. ثم بسط يديه
موجها دعاءه إلى أمه الحبيبة، (ثيتيس، عروس البحر):
"أماه ! طالما أنك حملت بى حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة،
فقد كان على زيوس، سيد الأوليمبوس ومطلق الرعد أن يمنحنى
قدرا من الاعتبار. ولكنه لم يقدم لى (من ذلك) حتى النزر
اليسير. بل لقد أساء ابن أتريوس، أجاممنون ذو السلطان العريض،
إلى شرفى. فانتزع منى غنيمتى واستولى عليها ظلمًا وعدوانا !".

هكذا تحدث باكيًا، فسمعته أمه العظيمة وهى جالسة فى قاع
البحر إلى جانب أبيها الشيخ (نيريوس). وبسرعة ظهرت من
البحر الرمادى فى هيئة ضبابية وجلست بعد ذلك مباشرة فى
مواجهته وهو لا يزال منخرطا فى بكائه. ثم ربتت عليه بيدها
وقالت له وهى تدعوه باسمه:

"لماذا تبكى. ياولدى ؟ أى أسى قد مس قلبك ؟ تحدث بصدر
مفتوح ولا تُخْفِ عنى ما يـــدور بـــذهنك، حتـــى أشـــاطرك معرفـــة
(ماتقاسيه)".

عند ذلك تحدث إليها أخيليوس سريع القدم وهو يتنهد فى
زفرات عميقة:
"إنك تعلمين (ما أقاسيه)، فلماذا أذكر لك قصتى وأنت تعلمين كل

شىء. لقد ذهبنا إلى ثيبى(*)، مدينة إيتيون المقدسة واستولينا عليها
ودمرناها وأحضرنا إلى هنا كل الغنائم فاقتسمها الآخيون فيما بينهم
بالعدل، ولكنهم اختاروا لابن أتريوس، خريسئيس ذات الخدود
الجميلة إلا أن خريسيس، كاهن أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
جاء إلى السفن السريعة، سفن الآخيين الذين يلبسون البرونز، ليشترى
(حرية) ابنته وقد أحضر معه فدية تفوق العد، حاملا فى يديه
إكليل الغار الخاص بأبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
حول صولجان من ذهب، وتوسل إلى جميع الآخيين.
وكان أكثر توسله إلى ابنى أتريوس اللذين كانا يتزعمان
الحشود. وهنا عبر بقية الآخيين عن موافقتهم بالصياح،
معربين عن احترامهم للكاهن وقبولهم للفدية القيمة. على أن
ذلك لم يلق قبولاً لدى أجاممنون فرفضه بخشونة موجها إليه
كلامًا باترًا. وهكذا عاد الشيخ وقد تملكه الغضب، وكان
أبوللون قد استمع إلى ابتهالاته لما كان له من معزة لديه،
فأطلق على حشود أرجوس أحد سهامه التى تجلب البلاء،
وهنا أخذ الرجال يموتون بكثرة وبسرعة. ثم انطلقت سهام الإله
فى كافة أرجاء معسكر الآخيين المتسع. وأخيرا فإن عرافًا على
علم ببواطن الأمور أعلن لنا عن نبوءة الإله الذى يطلق سهامه
بعيدا، فوقفت أنا فى التو ونصحت الآخيين أن يسترضوا الإله.
ولكن الغضب استبد على أثر ذلك بابن أتريوس فوجه إلىّ كلمة
تهديد تم الآن تنفيذها، فإن ابناء الآخيين ذوى العيون التى لا
تهدأ، ومعهم الفتاة فى سفينة سريعة، فى طريقهم الآن إلى
خريسى وهم يحملون القرابين للإله. أما الفتاة الأخرى، بريسئيس،
فإنه جعل رسله يأخذونها من سقيفتى بعد أن كان

(*) ثيبى **Thebe** (غير طيبة **Thebai**) وهى مدينة تقع على حدود ميسيا **Mysia** فى آسيا الصغرى على بعد أميال قليلة إلى الشمال الشرقى من أدراميتيوم **Adramyttium**. (المحرر)

الآخيون قد أعطوها لى. والآن. إذا كنت تملكين أية قوة فإن عليك أن
تحمى ابنك. اذهبى إلى الأوليمبوس وابتهلى إلى زيوس ٣٩٥
إذا كنت (يوما ما) قد أسعدته بكلمة أو بفعل. فلطالما سمعتُك
تفخرين فى بيت أبى بأنك كنت الوحيدة بين الخالدين، التى
أنقذت ابن كرونوس، سيد الغمام القاتم، فى ذلك اليوم حين كان
الآخرون من ساكنى الأوليمبوس يودون أن يضعوه فى ٤٠٠
الأغلال: هيرا وبوسيدون وباللاس أثينة، ولكنك أتيت، أيتها
الإلهة، وخلصتيه من أغلاله حين استدعيت إلى جبل
الأوليمبوس الشاهق، (الوحش) ذا المائة يد، الذى تسميه الآلهة
بريباريوس بينما يدعوه كل البشر أيجايون(*) لأنه أقوى حتى من
أبيه. لقد جلس إلى جانب ابن كرونوس متهللاً فى مجده، ٤٠٥
فاستولى الخوف على الآلهة المباركة فلم يجرؤ أحد منهم على تقييد
زيوس بالأغلال. أعيدى الآن ذلك إلى ذاكرته، واجلسى إلى جانبه
وضعى يديك حول ركبتيه، على أمل أن ينقذ الطروادبين. أما
أولئك الآخرون، الآخيون، فعلى أمل أن يدفع بهم إلى مؤخرات
سفنهم بينما يحاصرهم البحر (من كل جانب) ثم يُعمِل فيهم ٤١٠
القتل حتى يحصدوا نتيجة انصياعهم لملكهم، وحتى يدرك
ابن أتريوس، أجاممنون ذو السلطان العريض، مدى انعدام بصيرته
حين لم يقدم لمن هو أفضل الآخيين ذرة مما يستحقه من تشريف".

وهنا أجابته ثيتيس وهى تذرف الدموع:

"يالحظى العاثر ! ولداه ! أمِنْ أجل هذا (الوضع المحزن) كانت ٤١٥
تنشىء،تى إياك. لقد أصابك سوء الطالع وأنا حامل بك. لكم تمنيت أن
يتركوك وشأنك بجانب السفن دون دموع أو أسى، ولكن قدرك هو
الموت السريع والتعاسة أكثر من كل البشر. هل حملت

(*) أحد الوحوش الذين كان لكل منها مائة يد **hecatoncheires** والذين أنجبتهم الأرض من السماء ورعتهم ثيتيس **Thetis** عروس البحر لتدافع بهم عن زيوس ضد مكائد عدد من الآلهة، وقد ساعدوا زيوس فى صراعه مع العمالقة.

بك فى قاعات بيتنا من أجل هذه النهاية الحزينة ؟ ومع ذلك
فلكى أذكر ما طلبت إلى أن أذكره لزيوس المتمتع بإطلاق
الرعود فسوف أذهب بنفسى إلى الأوليمبوس الذى تغطيه
الثلوج على أمل أن ينصت إلىّ. ولكنى أهيب بك أن تبقى إلى
جانب سفنك السريعة التى تجوب البحار، ولتستمر فى غضبك
الشديد على الآخيين ولتمسك تماما عن المشاركة فى المعركة،
لأن زيوس قد ذهب بالأمس إلى النهر المحيط (بالأرض) (*)
ليشارك فى مأدبة مع الإثيوبيين الشرفاء، وقد تبعه فى ذلك كل
الآلهة. ولكنه سيعود بعد اثنى عشر يوما إلى الأوليمبوس،
وحينئذ سأذهب إلى بيته ذى العتبة البرونزية وسوف احتضن
ركبتيه بين يدى وأنا ابتهل إليه. وإنى أعتقد أنه سيستمع إلى دعائى".

وعندما انتهت من حديثها ذهبت فى طريقها تاركة أخيليوس
وقد ملأ الحنق قلبه من أجل المرأة ذات النطاق الجميل، التى
أخذوها منه رغما عنه. فى أثناء ذلك كان أوديسيوس ورجاله
قد وصلوا إلى خريسى ومعهم أضاحى القربان المقدس. وعندما
وجدوا أنفسهم فى مياه الميناء العميقة لفوا الشراع ووضعوه فى
السفينة السوداء ثم جذبوا الصارى إلى أسفل من الحبلين اللذين
يصلان بين رأسه وبين مقدم السفينة حتى استقر على دعامته.
بعد ذلك جذفوا بالسفينة بسرعة حتى وصلوا إلى المرسى ثم
قذفوا بحجارة الإرساء(**) (فى العمق) وثبتوا حبال مؤخرة
السفينة وذهبوا إلى شاطئ البحر، فأنزلوا أضاحى القربان
المقدم إلى أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا، بينما نزلت ابنة
خريسيس كذلك من السفينة التى تجوب البحار. بعد ذلك قادها

(*) اللفظة المستخدمة فى الأصل هى **Okeanos** . وكان اليونان القدماء يعتقدون أنه نهر يحيط بالعالم تقيم عند روافده مجموعة من القبائل والشعوب.

(**) "حجارة الإرساء" **eunai** هى مجموعة من الحجارة كانت تربط فى نهاية حبل (أو مجموعة من الحبال)، مثبتة بالسفينة، ثم تلقى هذه الأحجار فى الماء حتى لا تتحرك السفينة من مكانها.

أوديسيوس الواسع الحيلة إلى المذبح حيث سلمها إلى أبيها
الحبيب مخاطبا إياه:

"أى خريسيس، إن أجاممنون، ملك الرجال، قد أرسلنى لأعيد إليك
ابنتك ولأقدم إلى فويبوس (أبوللون) باسم الدانائيين قربانا مقدسًا حتى
نستطيع بذلك أن نسترضى (الإله) السيد، الذى جلب على أهل
أرجوس حتى الآن كثيرا من المآسى".

ولم يلبث، بعد أن قال ذلك، أن قدم الفتاة إلى أبيها الذى تلقاها
بفرحة كبيرة. أما مرافقوه فقد أسرعوا بصف أضاحى القربان
المقدس المقدم للإله حول المذبح الجيد البناء، ثم غسلوا أيديهم
وأخذوا حبوب الشعير المعدة لهذا الطقس.وهنا رفع خريسيس
يديه وصلى من أجلهم بصوت مرتفع:

"استمع إلىّ (فى دعائى) يا صاحب القوس الفضى، يا حامى (مدينتى)
خريسى وكيللا المقدسة، أيها السيد الأعلى لتينيدوس ! إنى
أهيب بك: كما استمعت إلى ابتهالاتى من قبل فأنصفتنى وضربت
على أيدى الآخيين، فإنى أبتهل إليك الآن أن تحقق مطلبى فترفع
عن الدانائيين هذا الطاعون الممقوت".

هكذا تحدث فى صلاته، وقد استمع فويبوس أبوللون إلى
دعائه. وحين فرغ الجميع من صلاتهم نثروا الشعير المقدس
وبدأوا بدفع رءوس الأضاحى إلى الخلف ثم حزوا رقابها
وسلخوها. بعد ذلك قطعوا الأفخاذ ولفوها بطبقة مزدوجة من
(رقائق) الدهن ثم وضعوا فوقها قطعًا من اللحم النيئ وقد قام
الشيخ بشيِّها على (وقود) من حزم الخشب بعد أن سكب عليها
خمرًا أشعلت ألسنة اللهب، بينما اصطف حوله الشباب وهم
يحملون شوكات مخمسة الأصابع. وحين فرغوا من شيى الأفخاذ
تماما وتذوقوها من الداخل، قطعوا بقية
أجزاء الذبائح وأدخلوا فيها الأسياخ وقاموا بشيِّها بعناية ثم

نزعوها من أسياخها. وبعد أن فرغوا من مهمتهم وأعدوا
الوليمة أقبلوا على احتفالهم بشهية مفتوحة وتمتعوا بالوليمة
جميعا على السواء. ثم بعد أن أخذوا حظهم من الطعام
والشراب، ملأ الشباب الكئوس حتى حوافها بالخمر (المقدسة) ٤٧٠
وأداروها على الجميع بعد أن سكبوا من كل كأس قطرات للمباركة.
بعد ذلك قضوا اليوم كله وهم يحاولون استرضاء الإله (أبوللون)
بترانيم الشكر بينما كان فتيان الآخيين يقدمون الأناشيد للإله الذى
يطلق سهامه بعيدا.. وقد سعد (أبوللون) وهو يستمع إليهم.

وعندما غابت الشمس وحل الظلام استلقى الجميع للراحة ٤٧٥
عند حبال مؤخرة السفينة. وحين بدت بشائر الفجر (إيوس) ذى
الأصابع الوردية أقلعوا ماضين إلى المعسكر الكبير للآخيين، بينما
أرسل لهم أبوللون، الذى يعمل بعيدًا، ريحًا مواتية، فرفعوا الصارى
ثم نشروا الشراع الأبيض فملأت الريح بطن الشراع وارتفع ٤٨٠
صخب الموجة الداكنة(*) عند مقدمة السفينة التى كانت تمضى
مسرعة فوق الموج. ولما وصلوا إلى معسكر الآخيين
المتسع سحبوا السفينة السوداء على الشاطئ فوق الرمال المرتفعة ٤٨٥
ووضعوا السنادات الطويلة تحتها ثم تناثروا بين الخيام والسفن.
على أن الابن الذى حملت به الإلهة من بيليوس، أخيليوس سريع
القدم بقى إلى جانب سفنه السريعة وهو يلوك غضبه الشديد،
فلم يذهب إلى الاجتماعات حيث تتحقق الشهرة للرجال، كما لم ٤٩٠
يشارك فى المعركة وإنما أسلم نفسه للضياع ببقائه حيث كان،
بينما كان (فى داخله) يتوق إلى صيحة الحرب والمعركة.

وحين انبلج صباح اليوم الثانى عشر بعد ذلك، عاد الآلهة
الخالدون إلى الأوليمبوس،وكان زيوس يقود الطريق. ولم ٤٩٥

(*) لفظة **porphyreos** تعنى عند الكتاب الذين جاءوا بعد عصر هوميروس، اللون الأرجوانى أو اللون الأحمر القانى. ولكنها فى شعر هوميروس لا تشير إلى أكثر من معنى: الداكن.

تكن ثيتيس قد نسيت مطلب ابنها، فظهرت من بين أمواج البحر،
ثم صعدت فى الصباح الباكر إلى السماء العريضة ووصلت
إلى الأوليمبوس. وهناك وجدت ابن كرونوس الذى يمتد
بصره إلى الآفاق بينما كان يجلس وحده بعيدا عن الآخرين على
القمة العليا من الأوليمبوس المتعدد القمم. وهكذا جلست أمامه
وأمسكت بركبتيه بيدها اليسرى ووضعت يدها اليمنى تحت ذقنه
ثم تحدثت بابتهال إلى سيد الكون، زيوس بن كرونوس:
"أبانا زيوس ! إذا كنت، من بين الخالدين، قد ساعدتك يومًا بالكلمة
أو بالفعل، فلتستمع إلى هذا الدعاء: أسألك أن ترد الاعتبار لابنى
الذى سيكون قدره أن يلقى الموت أسرع من أقرانه. ذلك أن
أجاممنون، سيد الرجال، قد وجه إليه إهانة بالاستيلاء على
غنيمته واستبقائها لديه ظلمًا وعدوانا. إنى أهيب بك أن ترد إليه
شرفه (المسلوب)، أى زيوس، صاحب التدبير فوق
الأوليمبوس، امنح الطرواديين القوة إلى أن يرد الآخيون إلى
ابنى الاعتبار الواجب، وعوّضه تعويضًا كبيرا".

هكذا تحدثت، ولكن زيوس، جامع السحب، لم يرد عليها
بكلمة واحدة، وإنما أخلد فى جلسته إلى صمت طويل. على أن
ثيتيس التى كانت ممسكة بركبتيه ظلت على ما هى عليه واقتربت
منه أكثر وطلبت إليه ثانية:
"عدنى مخلصًا بهذا الأمر بأن تومئ برأسك،
وإلا فارفض ما طلبته إليك، فإنك لن تخشى بذلك شيئًا سوى أنى
سأعرف أنى أشغل أقل موقع بين الآلهة".

وهنا قال لها زيوس، جامع السحب، وقد ظهر عليه القلق،
"إن هذا سيكون عملا يدعو إلى الأسى، لأنك تجعلينى بذلك أقدم
على صراع مع الإلهة هيرا التى سوف تثير غضبى بألفاظها
الجارحة فإنها، حتى فى الوقت الراهن وأمام الآلهة الخالدة تصب

علىّ جام غضبها معلنة أنى أقدم المساعدة للطرواديين فى
المعركة. ومع ذلك فلتغادرى المكان الآن حتى لا تلحظ هيرا أى
شىء، وسوف أدبر الأمر حتى أحقق ما ترغبين. هلمى الآن،
وسوف أومئ برأسى من أجلك حتى تكونى على ثقة من ذلك،
فهذه من جانبى هى إشارة الوعد المؤكد بين الخالدين، ٥٢٥
إذ ليست هناك كلمة أرجع عنها أو كلمة مخادعة أو
كلمة لا أحققها طالما أومأت برأسى".

هكذا تحدث ابن كرونوس خافضا حاجبه الداكن (الشعر) ٥٣٠
علامة على الموافقة فتموجت إلى الأمام خصلات السيد فوق رأسه
الخالد، واهتز الأوليمبوس العظيم(*).

ثم افترق الاثنان بعد أن تبادلا الرأى على هذا النحو. أما
هى فقد قفزت على الفور من الأوليمبوس الساطع إلى أعماق
البحر (القاتمة)، وأما زيوس فقد ذهب إلى مقره الخاص. وهنا
نهض الآلهة جميعا من مقاعدهم قبل أن يطل عليهم وجه أبيهم، ٥٣٥
لم يجرؤ أحد منهم على (أن يظل جالسًا فى) انتظار مجيئه،
ولكنهم نهضوا جميعا ليكونوا فى استقباله. وهكذا جلس هناك على
عرشه. ولكن هيرا كانت قد لمحت ما حدث ولم يفتها أن ثيتيس
ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، كانت تتبادل
معه المشورة الحميمة، فوجهت حديثها على الفور إلى زيوس بن
كرونوس وهى تقول فى كلمات ساخرة: ٥٤٠
"من هى من بين الآلهة، أيها المخادع الكبير، تلك التى كانت تبادلك
المشورة الحميمة. إنك تفعل دائما ما يروق لك من خلف ظهرى ثم

(*) يبدو أن هذه الأبيات كانت فى ذهن ميلتون وهو يقول فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الثانى، ٣٥١-٣٥٣).

So was His will
Pronounced among the gods, and by an oath
That shook Heaven's whole circumference confirmed.

"هكذا كانت مشيئته المعلنة فى حضرة الآلهة وبالقسم تأكدت حيث ارتجت لها أركان السماء".

وقارن "الإينيادة" لفرجيليوس (الكتاب التاسع ١٠٦)، وكاتوللوس (٦٤، ٢٠٤، ٢٠٦). (المحرر)

تصدر أحكامك التى فكرت فيها فى الخفاء، ولم تحاول مرة واحدة أن تطلعنى على الأمر الذى تنتويه".

وهنا أجابها أبو البشر والآلهة:

"أى هيرا ! لا تؤملى إطلاقا فى أن تعرفى كل ما أقرره، فإن ذلك سوف يكلفك من أمرك عسرا، حتى ولو كنت زوجتى. إن ما أجد من الملائم أن تسمعيه لن يعرفه قبلك أحد من الآلهة أو البشر، ولكنى حين أفكر فى أن أقدم على أمر دون أن أرجع فيه إلى الآلهة،فليس لك أن تسألينى عنه بالمرة !".

وهنا ردت عليه هيرا ذات العيون الواسعة (كالمها) (*) والسمت العظيم:

"أى ابن كرونوس، يامن يرهبه الجميع ! ما هذا الذى تقوله ؟ حقا إنى لم أكن أعمد فى الماضى إلى أن أسألك أو استقصى منك عن شىء، ولكنك كنت تدبر ما تشاء كما تشاء. على أن الخوف ينتابنى الآن أن تكون ثيتيس ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، قد ضللتك بخداعها، فقد كانت تجلس إلى جوارك عند تباشير الفجر وتضم ركبتيك بين يديها. وأعتقد أنك أومأت برأسك لها فى إشارة واضحة إلى أنك سترد إلى أخيليوس اعتباره و سوف تتسبب فى موت الكثيرين بجوار سفن الآخيين".

ولكن زيوس، جامع السحب، رد عليها قائلا:

"أيتها السيدة الإلهية البائسة(**)، إن أحوالك لغريبة حقًا، فأنت تتخيلين الأشياء تخيلاً، ولا تفتأين تلاحقيننى (بسبب ما يجول فى خيالك)، ولكنك لن تستطيعى أن تحققى بذلك شيئًا إلا أن تزيدى بعدًا عن قلبى، وسيكون هذا أسوأ ما تجنيه يداك. وإذا كان هذا الأمر

(*) الكلمة اليونانية المستخدمة **boopis** تعنى "عيون البقرة" أو "عيون المها" وهو ما يذكرنا بالديانات الأقدم مثل الديانة المصرية التى كانت فيها الآلهة تتخذ أشكال من مختلف الحيوانات والطيور. (المحرر)

(**) لفظة **daimonié** تعنى فى الأصل أيتها المتصفة بالصفة الإلهية، ولكن استخدامها هنا يشير (كما هو واضح) إلى شىء، من الازدراء وتقليل الشأن.

(الذى ذكرته) كما تقولين فإن هذا من شأنى (وحدى). أما الآن فلتجلسى ولتصغى إلى ما أقوله، وإلا فإن أيا من الآلهة الذين يقطنون الأوليمبوس لن ينفعك إذا أطبقت عليك بيدى اللتين لا يستطيع أحـــد أن يقاومهما".

هكذا تحدث، وعندها استبد الفزع بالإلهة هيرا ذات العيون الواسعة والسمت العظيم فجلست فى صمت متحكمة فيما يجيش به صدرها. هنا خيم جو الابتئاس على الآلهة السماويين فى أرجاء مقر زيوس، وكان أول من تحدث بينهم هو هيفايستوس، إله الصناعة الشهير، مساندًا أمه هيرا ذات الذراع الأبيض.

"حقا إنه سيكون أمرا مؤسفا ولا يمكن احتماله بعد الآن، إذا كنتما أنتما الاثنان ستظلان على تشاحنكما من أجل (البشر) الفانين وتثيران الفتنة بذلك بين الآلهة، إذ لن يكون هناك ابتهاج على أى نحو فى الاحتفال طالما كان الذى يسوده هو أسوأ الأجواء. إنى لأشير على أمى. رغم كل ما تتحلى به من حكمة، أن تسترضى أبانا الحبيب حتى لا يوبخها مرة أخرى ويشيع بذلك جو القلق والارتباك فى احتفالنا.إذ لو شاء رب الأوليمبوس، سيد البرق والصواعق، لعصف بنا من فوق مقاعدنا، فهو الأقوى بين الجميع. إنى أهيب بك (يا أماه) أن تحدثيه حديثا لينا حتى يغمرنا رب الأوليمبوس بسماحة نفسه".

وما أن قال ذلك حتى أسرع فوضع الكأس ذات المقبضين فى يد أمه الحبيبة مخاطبا إياها:

"هونى عليك يا أماه وتحمّلى أساك من أجل الجميع، فأنت عزيزة علىّ ولا أود لعينىّ أن ترياكِ وقد نزل بك العقاب. لأنه لن يكون فى مقدورى آنذاك أن أمد لك يد الغوث رغم كل ما سوف يصيبنى من حزن، فإن رب الأوليمبوس خصم عنيد إذا وقف فى طريقه أحد.

نعم ! ففى مرة سابقة، حين كنت أحاول الدفاع عنك، أمسكنى من
قدمى وقذف بى من عتبة السماء فاندفعت فى الفراغ يوما بأكمله قبل
أن أسقط عند غروب الشمس فى ليمنوس(*) بعد أن كدت أفارق
الحياة، حيث أسرع السينيتيون برعايتى".

هكذا تحدث فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض وهى
تأخذ الكأس من يد ابنها، ثم أخذ يصب النيكتار لكل الآلهة
من اليسار إلى اليمين، آخذا إياه من طاس الرحيق الحلو الإلهى.
وقد ضج الآلهة بالضحك وهم يرون هيفايستوس يلهث فى أرجاء
(بهو) القصر.

هكذا احتفل الآلهة طوال اليوم حتى غروب الشمس بقلوب
مفعمة كلها بالمتعة التى لم ينتقص منها شىء، سواء من الوليمة أو
من موسيقى الربابة(**) الجميلة التى كان يحملها أبوللون أو من الغناء
الذى كانت تتبادله ربات الفنون (الموساى) (***) بأصوات عذبة.

ولكن حين غرب قنديل الشمس المنير، ذهب كل منهم إلى
حيث يقيم ليأخذوا قسطا من الراحة، إذ كان الإله هيفايستوس
ذو الذراعين القويتين قد بنى بمهارة فائقة قصرًا لكل منهم. أما
زيوس، رب الأوليمبوس وسيد البرق، فقد اتجه إلى مخدعه

(*) ذكرت جزيرة ليمنوس فى "الأوديسية" (الكتاب الثامن ٢٨٤) وقارن أوفيديوس (الأعياد) الكتاب الثالث ٨٠) وأعاد ميلتون صياغة هذه الفقرة فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الأول ٧٤٠ ومايليه). (المحرر).

(**) اللفظة فى الأصل هى **phormynx** وتترجم أحيانا بالقيثارة. ولكنى آثرت ترجمتها بالربابة لأنها كانت أولى الآلات الوترية (البدائية بالضرورة) التى استخدمها اليونان فى العصر المبكر وكانت تحمل باليد. أما القيثارة **kithara** بالتحديد فقد وجدت عند اليونان وكانت آلة مثلثة الشكل ذات سبعة أوتار وتوضع واقفة على الأرض.

(***) يناجى هوميروس ربة الشعر موسا أو ربات الشعر موساى. وفى العصر الهيللينستى أصبح عدد ربات الفنون تسعة لكل منها فن بعينه ترعاه. أنجبهن زيوس كبير الآلهة من عشيقته منيموسينى إلهة الذاكرة: أورانيـــا (Ourania) ربة الفلك، وكليو (Klio) ربة التاريخ، يوتيربى (Euterpe) ربة الموسيقى، تيربيسيخـــورى (Terpsichore) ربة الرقص، ميلبومينى (Melpomene) ربة التراجيديا، إيراتو (Erato) ربة شعر الحب والبكائيات والمراثى، بوليهيمنيا (Polyhymnia) ربة الشعر الغنائي، كاليوبي (Kalliope) ربة الشعر الحماسي أى الملحمى، وثاليـــا (Thalia) ربة الكوميديا ولا تختلف الموساى كثيرًا عن الحوريات أو عرائس البحر والغابات... إلخ، واتخذن صورة البشر واتصفن بالحكمة والإلمام بكافة القصص وإلهام من يخترنه لروايتها وإلهام الشعراء بما ينظمون من شعر وهكذا أصبحن راعيات لفروع الفنون والآداب وسادت عبادتهن فى أماكن كثيرة خاصة فى منطقة بيريا قرب جبل الهيليكون والأوليمبوس. (المحرر)

حيث كان يأخذ راحته دائما حين يراوده (خَدَر) النوم اللذيذ، ثم ٦١٠
صعد إليه، وإلى جواره كانت هيرا ذات العرش الذهبى. ٦١١

الكتـــــاب الثانى

ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى